وقفة مع النفس

للأستاذ الدكتور

محمود على السمان

عميد الكلية

قبل أن أترك موقعى فى العمل الإدارى عميداً للكلية ، بعد تسع سنوات متواصلة، إلى العمل العلمى الخالص متفرغاً ، فى الثانى عشر من سبتمبر هذاالعام- أحب أن أقف مع النفس وقفة أراجع فيها باختصار شديد رحلتى العلمية والعملية، منذ نشأت وحتى الآن ، قبل أن أستعرض نشاطى الأدبى الذى أتمنى أن أجد الوقت والجهد بعد تفرغى لمواصلته .

وماكان لى أن أكتب هذا المقال لولا أن أحد أبنائى الأعزاء الذى يعمل معى مديرا لمكتبة الكلية، والمنوط به إعداد المجلة ، وهو الأستاذ عادل أحمد أمين - أشار على بإلحاح بأن أكتب مقالاً فى هذا العدد من المجلة ، كى تستوفى به المجلة حاجتها إلى الكم الذى يكمل به ماخصص لها من الميزانية. لأننى ماكنت لأنافس زملائى فى صفحات المجلة لكتابة أبحاثهم، وهذا وارد ، ففى خلال سنواتى التسع فى الكلية - لم أكتب فى المجلة سوى مقدماتها ، ماعدا مقالاً واحداً كتبته وفاء لأستاذى وأستاذ زملائى أعضاء هيئة تدريس الكلية وكليات اللغة العربية فى الجامعة من جيلى ومابعده، وهو العالم الفذ الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى، وهو صاحب الفضل على كل دارس للأدب والنقد بصفة خاصة، وعلوم العربية بصفة عامة، بما قدمه من ذلك للمكتبة العربية فى أثناء عمره الطويل والممتد إن شاء الله، فعرضت لبعض جهوده العلمية فى ذلك المقال[1] .

---

(١) انظر العدد السادس ص٧-١٧ من المجلة الصادر عام ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م

وأشهد قبل أن أبدأ حديثى هذا في وقفتى مع النفس - أننى فى ممارسة عملى الإدارى الطويل بالكلية اكتسبت معرفة وخبرة، واجتنيت حباً ومودة، وامتلأت سعادة وغبطة، من كل من عملت معهم فى داخل الكلية من زملاء وإداريين وعمال، وكانت غايتى مع فريق العمل العظيم الذى قدته أن نبلغ سوياً بأبنائنا الطلاب المستوى العلمى الذى نرجوه ويرجوه لهم الأزهر الشريف، وجامعته العريقة، ووطنهم الحبيب.. ولعلنا نكون قد حققنا سوياً بعض هذه الغاية .

ووقفتى مع النفس تبدأ بتذكيرها بأننى حفظت القرآن الكريم وأنا فى العاشرة من عمرى، ثم التحقت بالمعهد الأحمدى الابتدائى بطنطا، وفى السنة الثالثة منه كنت أنظم الشعر وأعرف أوزانه، حتى لأذكر أننى فى الامتحان الشفهى فى السنة الرابعة من التعليم الابتدائى (الابتدائية) وقد طلبت اللجنة منى أن أسمعها بعض ماأحفظ من الشعر - أجبت: من شعرى أم من شعر غيرى ؟ فسألنى رئيس لجان الامتحان - وكان قد حضر حينئذ إلى لجنة امتحانى: أتقول الشعر ؟ قلت : نعم ، قال : إذن نسمع شعرك، فألقيت عليهم أبياتاً من الشعر، وعاد رئيس الامتحان يسألنى: وهل تعرف بحر هذا الشعر ؟ فأجبت : نعم ، هو بحر "الرمل"، وعندئذ قال لى: قم يابنى فتح الله عليك.

واستمر إقبالى الشديد على قراءة الأدب فى مجلتيه الشهيرتين آنذاك: الرسالة والثقافة ، إلى جانب أمهات كتب الأدب ودواوين الشعر القديم منها والحديث، فى دار كتب بلدية طنطا ، كما استمر مع ذلك نظمى للشعر بين الحين والحين. وحباً فى زيادة اكتساب

المعرفة العلمية المنظمة. .حرصت إلى جانب قراءة الأدب ونظم الشعر- على الانتظام فى دراسات مدنية مسائية؛ فدرست اللغتين الأنجليزية والفرنسية ، وتعلمت الآلة الكاتبة العربية؛ وتقدمت للحصول على "الابتدائية" المدنية من وزارة المعارف، وكنت أول الممتحنين من المنازل والرابع فى وسط الدلتا، ثم حصلت على الثقافة نظام الأربع السنوات، ثم على التوجيهيه، ثم التحقت بكلية الآداب جامعة القاهرة - قسم اللغة الإنجليزية، لحصولى على درجة عالية فيها، بعد أن كنت عازما على الالتحاق بقسم الصحافة.

كما حصلت بعد تخرجى من الأزهر على دبلوم معهد التربية العالى للمعلمين بالأسكندرية، وبعده على الدبلومة الخاصة فى التربية من جامعة عين شمس سنة ١٩٥٧ ، ولكننى التحقت بالدراسات العليا بكلية اللغة العربية عند افتتاحها، وكانت ثلاث سنوات تعادل الماچستير، ونجحت فيها ضمن خمسة طلاب فقط كانت هى الدفعة الأولى فى قسم الأدب، فسجلت رسالة للدكتوراه عن «غايات الأدب» بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الحسيب طه وكيل الكلية رحمه الله ، ولكنى تأخرت فى إتمام الرسالة ست سنوات، لتعيينى أميناً لشباب محافظة الغربية عام ١٩٦٥، وبذلت أقصى الجهد فى عملى السياسى الوطنى، ومنحت من المحافظ آنذاك "شعار المحافظة الذهبى" .

وكان أثر الأزهر والاتجاه الدينى فى عملى الوطنى بارزاً؛ فقد قدمت لمجلس المحافظة - وكنت عضواً فيه - مشروعاً كبيراً لرعاية

محفظى القرآن الكريم فى كتاتيب المحافظة مادياً، فى عهد المحافظ وجيه أباظه رحمه الله. وفى حديقة مسكن محافظ الغربية الآن بشارع الجيش، وكان مقرا للاتحاد الاشتراكى عملت على إقامة مسجد للشباب حيث كانوا يتفرغون أفواجا للدراسة أياما معلومات، ليؤدوا شعائر الصلاة فيه وهو ذلك المسجد الكبير ذى المئذنة العالية بعد أن أعاد بناءه وجيه أباظه ووسعه. وألحقت به دار مناسبات كبرى، ومعهد دينى أزهرى. وقد كان مسمى بعد اعادة بنائه باسم "مسجد الشباب" ثم أطلق عليه اسم «مسجد المحافظة»، ودفن فى جانب منه أستاذنا شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم فضيلة الشيخ محمد خليل الخطيب رضى الله عنه .

وحصلت على الدكتوراه عام ١٩٧٢ متأخراً عن زملائى بسبب العمل الوطنى ، وعينت عام ١٩٧٥ مدرساً بكلية التربية - جامعة طنطا. وفى عام ١٩٨٠ رقيت أستاذاً مساعداً، واختارتنى الجامعة وكيلاً لتربية كفر الشيخ ، ولكننى فى عام ١٩٨٦ طلبت الانتقال إلى جامعة الأزهر العريقة. وأشكر من أعانونى على تحقيق رغبتى فى ذلك : الأستاذ الدكتور عبد الحى مشهور رئيس جامعة طنطا السابق فى ذلك الوقت ، والأستاذ الدكتور محمد كمال العقاد رئيس الجامعة الحالى آنئذ، والأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر آنذاك .

أبرز الأعمال الإبداعية

مما أعتز به من أعمالى الإبداعية نثراً - ماكتبته وأنا مدرس بجامعة طنطا، ثم طبعته ونشرته دار المعارف عام ١٩٨٣، وهو كتابى: «العروض الجديد: أوزان الشعر الحر وقوافيه» ولعله أول كتاب جامع لعروض الشعر الحر، قائم فى تحصيل قواعد ذلك العروض على أساس الأسلوب العلمى الاستقرائى الاستنباطى، وهو النهج الذى سار عليه "الخليل بن أحمد" فى جمعه لقواعد عروض الشعر العمودى ثم سار عليه "ابن سناء الملك" فى جمعه لقواعد عروض الموشحات، ولهذا كان تعليق أستاذنا الدكتور خفاجى على هذا العمل، الذى وضعته وساماً على صدر الكتاب - هو قوله: «إذا كان الخليل بن أحمد قد وضع عروض الشعر العمودى، وإذا كان ابن سناء الملك أو الخليل الثانى قد وضع عروض الموشحات.. فإننا نعتز حقاً بأن يكون بيننا الخليل الثالث الدكتور محمود على السمان واضع عروض الشعر الحر».

والعمل الإبداعى الثانى الذى أعتز به اعتزازاً أكبر من اعتزازى بعروض الشعر الحر، وإن كان يختلف فى شكله واتجاهه عنه - هو عملى الشعرى الجديد الذى أسميته: «مع القرآن الكريم»، وأصدرت منه جزأين عام ١٩٩٤. وسوف يستمر إصدار العديد من الأجزاء منه إن شاء الله تعالي. ويتميز الديوان بأنه يستظل ببعض معانى القرآن الكريم، ويقتبس من بعض ألفاظه فى شكل مقطوعات شعرية صغيرة، غير ملتزمة أحيانا ببحور الخليل وأوزانه.

والذى يجعلنى أعتز بهذا العمل الأخير اعتزازا كبيرا - أن موضوعه طريف، وشكله خفيف، والاقتباس فيه من القرآن ..يكسوه جمالاً ويكسبه قبولاً، والذى أكد لى ذلك أننى وجدت له صدى طيباً لدى إخوانى عمداء الكليات، وشيوخى الكبار، والسادة نواب الجامعة.. وممن أعتز بتقريظهم لهذا العمل كتابة فضيلة شيخنا الأستاذ الدكتور عوض الله حجازى رئيس الجامعة الأسبق، والأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم نائب رئيس الجامعة، وأستاذى الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى، وأخى الأستاذ الدكتور محمود أبو العلا.. وكم كنت أتمنى ألا تخوننى الذاكرة فأحفظ كلمات الثناء المستطاب على هذا العمل التى نفحنى بها فضيلة الأخ الأستاذ الدكتور محمد فرغلى العميد السابق لكلية الشريعة بالقاهرة، فى حديث شفوى معى قبيل وفاته رحمة الله عليه .

نماذج من الشعر الإبداعى

وإذا أردت أن أعرض نماذج من الشعر تكون مرآة تظهر فيها صورة نفسى إلى حد قريب - فليسمح لى القارئ الكريم أن أبدأ بتقديم أبيات قلتها فى خمسينات هذا القرن عن فضل أمى يرحمها الله قبل وفاتها عام ١٩٨٣ ، وهى التى تولت تربيتى بعد وفاة أبى رحمه الله وأنا فى السادسة من عمرى .. قلت:

لـــو أستطيع فديتها بدمائـــى
أمى التى حفظت على بقائـــى
أمى التى جاعت لآكل لقمتـــى
وهى التى عطشت لأشرب مائـى
ولكم قضت ليلاتها سهرانـــة
لتجيب سؤلى أو ترد ندائـــى
فإذا ضحكت ملأتها من نشـــوة
وإذا بكيت قتلتها ببكائـــى
وإذا مرضت فتـلك شر فجيعة
وإذا شفيـت فذاك خيـر عـــزاء
فإذا هممت بأن أوفى شكرهـــا
أفلسـت أعجز عن بلوغ وفائى؟!

وقريباً من هذا المعنى قلته العام الماضى ١٩٩٤، فى حديث عن "بر الوالدين" مشيراً إلى معانى الآيتين الكريمتين ٢٣، ٢٤ من سورة الإسراء ومقتبساً من ألفاظهما، وهما قوله تعالى : «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ...» إلى: «وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً»[١] - قلت :

---

(١) ديوان «مع القرآن الكريم» حـ١ ص٣٦ .

قد قضـــى الله بأن نعبـــدهُ
ونوفِّـى والدَيْنـا بالحقـــوقْ
فنؤدى لهـــما أحساننـــــا
وإذا شاخـــا فلا نُبدى العقوقْ
لاتقـــل "أفٍّ" ولاتنهرهمـــا
لا، وقل قولاً كريماً ... يارفيقْ
واخفـــضَنْ منك جناحاً لهمـــا
رحمة، واسترحـم الرب الشفيقْ

والوفـاء للأصـدقـاء، والاعـتـراف لأهل الفـضل بفـضلهم أحيـاء وأمواتاً شيمة أحمد الله على التحلى بها، وكذلك كان بعض شعرى.. وآخر من رثيتهم - أخى وزميلى الأستاذ الدكتور أحمد الجمل[1]، فى حفل التأبين الذي أقامته الكلية له يوم ١٩٩٤/١٢/٢٦، فقلت فى مطلع القصيدة :

مصابنا اليوم ياأصحابنـا جَلَـــلُ
فإن من مات منـــا .. أحمدُ الجَمَلُ

ثم قلت :

ماكنت تشكو ولم يُمْلِلْكَ طول ضَنىً
بل كنت تعمـــل لاشكـــوى ملـلُ

---

(١) أستـاذ مسـاعـد بقسم اللغويات بالكلية - توفى رحمه اللـــه فى ١٩٩٤/١٢/١٨ .

خدمت جامعـــــةً، اللـــهُ حارسُهـــا
ممـن يَكِيـــدُ لها من كل من هَزَلـوا
وذلك الصَّرْحُ[١].. أنت من الذين بَنَوْا
له القواعـــــد ماضَنُّوا ومابَخِلـــوا
لاقدَّر اللـــــه أن تهتـــز أعمـــــدةٌ
فيه بموتك، أو يستفحـــل الزَّلَـــلُ
ان كـــان قد نزل المقـــــدور ساحتَنـــا
فليـــس فى الناس إلا من له أجل
لو كان يُجـــدِى بكـــاء فى مصيبتنـــا
إذن جـرى الدمعُ حتى جَفَّت المُقَـل
لكنـــه قَـــدَرٌ لاشـــــىء يمنعـــــه
ونحـــن للقدر المقـــدور نمتثـــــل
وليـــس للمـــوت أسبابٌ نلفِّقهـــــا
فعنـده تنتهى الأسبابُ والعِلَـــــل

وإذا كـان حب الوطن واجبـا، والوفـاء له حتـميـا .. فـإن حبى لمصـر لشـديد وهو مـاجعلنى ويجعلنى أشـيـد بهـا دائمـاً، وأدافع عن أهلها بنقد لاذع لكل من يعتدى على حقوقهم، ولذلك فحينما أعلن عن قـيـام "الحـزب الوطنى" برئاسـة الرئيس الراحل أنور السـادات - كتبت رسـالة شـعـرية مـفـتـوحـة، نشـرتهـا جريدة الأخبـار فى ٢٤ من أغسطس ١٩٧٨ بعنوان «سيدى.. الحزب الجديد» قلت فيها:

---

(١) أقصد "كلية اللغة العربية بإيتاى البارود".

ياسيدى الحزب الجديـــــد

هنيت بالحـــظ السعيـــــد

أعطاك ربـــــك منـــــة

واللـــه يفعـــل مايريـــــد

فلقـــد منحـــت أبـــــوة

مـــن حاكم عدل رشيـــــد

ولقد كسبـــت أخـــــوة

مـــن شعبنا الحر المجيـــــد

* * *

ياسيـــــدى، بعـــد الســـــلام عليـــك والشوق الشديـــــد

أهديـــك ألـــــف تحيـــة وأحيط علمـــــك بالمفيـــد:

الأهـــل فـــى حـــال تقـــر بمثلهـــا عيـــن الحســـود

انـــزل إلـــى الشعـــب الكريـــم تـــر الشقـــاء بلا حـــدود

وشقـــاه فـــى نقـــل وإسكـــان وتموينـــ يزيـــد

* * *

لاتكثـــرن مـــن الكـــلام فعندنـــا منـــه رصيـــد

واعمـــل لحـــل المشكـــلات بفضـــل تكتيـل الجهـــود

وابـــــــدأ بنفســـــك أولاً

مادمت أنـــت لنا تقـــــود

لتكـــــون أول بـــــــاذل

وتكـــــون آخر مستفيـــــــد

* * *

وإلى اللقـــــاء وفى الختام أقولهـــــا لك من جديـــــد:

«اقبل تحيـــــة مخلـــــص

يرجـــو لك الحـــظ السعيـد

وفى نهاية ذلك العام - ١٩٧٨-[1] وكنت مدرساً بكلية التربية جامعة طنطا عقد بطنطا مؤتمر شعبى سياسى كبير حضره الأستاذ فكرى مكرم عبـيـد أمين عـام الحـزب الوطنى ونائب رئيس مـجلس الوزراء، وبعض الوزراء، والدكتور زكى شبانه رئيس جامعة المنوفية، والشيخ أحمد حسن الباقورى، والدكتور أحمد الشرباصى .. وقـــــد

---

(١) فى ١٩٧٨/١١/٢٠ عقد المؤتمر الشعبى السياسى فى جمعية الشبان المسلمين بطنطا بمناسبة تولى الأستاذ عبد القادر البحراوى وكيل الجمعية وعضو مجلس الشعب أمانة الحزب الوطنى بالغربية .

دعانى إلى المؤتمر أحد الأصدقاء المنظمين له[١]، لالقاء قصيدة فيه، وقد فعلت واستهللت القصيدة بشكر صديقى على دعوته .. فقلت :

دعانى الذى أهواه أن أنظم الشِّعْرَا
ودعوة من أهواه لى تشبه الأمْرَا
فما ملكت نفسى سوى أن أطيعَه
وأنظم شعراً فاق فى نظمه الـدُّرَّا

ثم قلت مشغوفاً بحب مصر واصفاً خيرَها وجمالها، ودعوةَ الأنبياء من قديم إلى زيارتها والإقامة بها، وزهوَ حكامها بامتلاكها، مستظلاً فى ذلك بمعانى القرآن الكريم مقتبساً من ألفاظه[٢]:

أحبّاىَ إنى فى هوى مصر مُدْنَـــفٌ
فما مصرُ فى الدنيا سوى الجنةِ الكبرى
فمصر التى رَبَّت، ومصر التى رَعَتْ
ومصر هى الأم التى أبداً تُطْـــرَى

---

(١) هو الأستاذ محمد ابراهيم مصطفى رئيس العلاقات العامة لمحافظة الغربية آنذاك .

(٢) يلاحظ أننى كنت من قديم قبل إصدار ديوانى «مع القرآن الكريم» عام ١٩٩٤ ، الذى يقوم على الاقتباس من ألفاظ القرآن الكريم والاستظلال بمعانيه - كنت مشغوفاً بالاقتباس، وكان ذلك يجرى فى شعرى بشكل تلقائى . ومن ذا الذى يستطيع وهو يحفظ القرآن الكريم ويسحره معناه ولفظه ألا تقع معانيه وألفاظه فى شعره بقصد أو بغير قصد ؟! إن فى ذلك لشرفاً وفخاراً له ولأدبه .

ومصر التى جادت على طول عمرها
فما بخِلت عاماً، ولاقَصَّرت شهـــرَا
ومصر التى أعطت كثيراً، ولم تكـن
تريد بما أعطـت جـــزاءً ولاشُكْـــرا
ولو قد عددنا مالها من مكـــــارم
لفاقت أياديهـا وآلاؤُهـــا الحَصْـــرا
فكم نحن نَجنى شُهدنا من ثمارهـــا!
ومن مائها السلسال كم نشرب الخمرا!
وكم من دَفِـيءِالشمـــش نشتـد قـوة!
وكم من نسيم الفجر نستنشق العطـرا!
إذا الصبح وافانا نعِمنـــا بصبحهـــا
وحين يجئ الليل نلتمـــس السحـــرا

* * *

حبانا بـــها الرحمـــن أعظمَ نعمـــةٍ
وجاءت بها آىُ الكتـــاب لنـــا تَتْرَى
فهاهـــو ذا موســـى يقـــول لقومـــه:
لكـــم ماسألتم قومنـــا، فاهبطوا مصرا
ويوسف إذ يعطـــى الأمـــان لأهلـــه
يقول ادخلوهـــا آمنيـــن، فلا غـــدرا
وفرعـــون يستعلـــى ويزهو بملكهـــا
وبالنيل يجرى تحت أقدامـــه نهـــــرا

ففى مصر يحلو الحب والعشق والهوى

وفى مصر أهوى الوصف والمدح والفخرا

* * *

ثم مالبثت بعد ذلك فى القصيدة أن ندت بالإهمال المتفشى فى البلاد، والفقر المدقع الذى يخنق المواطنين، داعياً الحزب إلى أداء واجبه تجاه الشعب بعد أن انتهت الحرب (١٩٧٣) فلم تعد ذريعة للانشغال عما يحقق مصالح الجماهير، فقلت :

فلا تدعوها للزمـــان يَغُولُهـــا

وداءٍ من الإهمال فى جسمها استشرَى

فليس لليل يَرْقُب الناسُ فجـــرَه

سوى السعيِ موصولاً لكى نُطْلِعَ الفجرا

وليس لفقر يأكـــل الناسَ وحشُه

ســـــوى وفرةِ الإنتاج تلتهم الفقـــرا

إذا قلتُ إن الناس جُـــنَّ جنونُهم

فإنى بهـــذا لاأُذيع لكـــم ســـــرا

فقد ضاق هذا الشعب إلا اقلـــه

من الفقـــر .. حتى كاد يُورِثُه الكفـرا

فهيا رجـــالَ الحزبِ أدُّوا حقوقَـــه

عليكم بأعمـــال تُجَنِّبُـــه الشـــرا

لقـد كـان عهدُ الحـرب عُذراً وحجة

فهل فى سـلام سـوف نلتمس العذرا ؟!

* * *

ثم نددت بشيوع الرشوة فى ربوع البلاد ، وناديت بالضرب على أيدى الجناة المرتشين، فقلت :

لقد شاع بين الناس أن أمورَهـــم

تُقَضَّى - إذا أعطَوْا على واجبٍ أجرا

وأن كثيراً يستبيحـــون رِشـــوة

ولايتلقَّـــوْن العقوبـــةَ والزجـــرا

فإن كان فى القانون حظر لرشـوة

فقانونهـــم لايعرف المَنْعَ والحَظْـــرا

فيا حزبَنـــا راقبْ وعاقب بشدة

وشُدَّ على الجانِيـــن، ولْتَقْصِم الظهرا

فإن يبقَ منـــا بعضُنا وهو صالح

وتفنى نُفايـــات تضر، فلا ضَيْـــرا

ثم نبهت فى نهاية القصيدة إلى ضرورة إقامة صرح البلاد على أساسين من علم وإيمان لحل مشكلاتها المادية والمعنوية، فقلت :

فإن شئتمو أن تثمروا بجهودكـــم

فبالعلـــم ، إن العلم كم ذلل الوَعْرا

وإن شئتموا أن تُفلحوا فى جهادكم
أقيموا إلى دين الإله لكم جِسْـــرا
فلن تستقيم الدهرَ أحوالُ أمـــــة
إذا هى قد أرخَتْ على دينها سِتْـرا
وليس تنالُ المجــدَ يوماً جماعـــة
إذا هى أمست وهى من دينها تَعْرَى
فبالعلم والإيمان نرقى إلــى العــلا
وبالعلم والإيمان نستجلب النصــرا

* * *

وإحساسى الشديد بالام الشعب لاقترانى به واقترابى منه - جعلنى أنظم قصيدة بالشعر الحر، جاء فيها :

هذا الكاتب فى الديوانْ
يعمل فى كل زمان بالإخلاصِ
وبالإتقـــانْ
بغير تـــوانْ
لكن يسمع أن القدوة منحرفهْ
يسمع إن إمام الناس يَؤُمُّ الناسَ بغير وضوءْ
يسمع أن رئيس الديوان يصلى الغرض بغير طهارهْ
ويبيع الشرفَ بكل مهارهْ
فيضم الصدر على الجُرْح ويسكتْ
لايتكلـــمْ

لكن لايملك فى الواقع إلا أن يتألمْ
إلا أن يتذمرَ .. يتحســـــرْ

* * *

ويشم رئيسُ الديوانْ
رائحةَ تَذَمّر هذا الإنسانْ
فيُوَقِّع فى الحال جزاءً بالخصم عليهْ
على ذاك الإنسان .. الأسيانِ .. الجوعانِ الظمآنْ
لايرحم ضعفهْ
لايرحم أفراخاً زُغْباً يُطعمها بعضَ فُتاتْ
بمرتبهِ .. بالمليماتْ
وتمضى.. تمضى الأوقاتْ
ويظل رئيسُ الديوانِ على القِمة فى منأًى عن كل الأزماتْ

* * *

شعبى لايجد الرحمةْ
إلا من بعض الخلانْ
حين تَفيض الروحُ إلى بارئها .. بعد فواتِ أوانْ !!

ومما يؤثر في نفسى ونفس كل محب لمصر غيور عليها - مانراه ونسمعه ونحس به كثيراً من هجره العقول المصرية إلى البلاد الأوربية، وكان من حق بلادنا وواجبها أن تستأثر بهم وتستبقيهم لمسيس حاجتها إليهم، ولذلك ناديت بضرورة رعاية هذه العقول قبل أن تهاجر، وإتاحة الفرصة لها فى بلادها فى النمو والظهور، كما تتاح لها فى الخارج حتى لاينتقل خيرنا لغيرنا ونحن فى حاجة ماسة إليه.

ومما قلت فى ذلك :

لاتبيعوا عقولكم لغريـــــبٍ
يشتريها .. فتلك شرُّ تجـــارهْ!
واحرسوهم فإنهم ظاهـــراتٌ
تختفى تارةً، وتظـــــهر تارهْ
الكثيرون هاجروا لبعيـــــدٍ
والمقيمون فى انتظار الإشارهْ !

* * *

يابلادى .. وكم أحب بلادى
كل مَن فى الحياة يعشـق دارهْ
ليس لي مَطْمَحٌ بدنيـاى إلا
أن أري مصر للوجود منـــــارهْ

* * *

ولكونى أزهرياً، مؤمناً بأن صلاح أحوال المسلمين فى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله، وفى الأُخُوّة والوحدة، ووقوف المسلمين صفا واحدا فى مواجهة الأعداء - أعلنت فى شعرى مراراً كثيرة ضرورة الوحدة الإسلامية، والحكم بكتاب الله، فقلت عام ١٩٨٨ من قصيدة طويلة :

ياقومَنا قد جاءكم من ربكـــم
نورٌ وسِفْـــر رائع التبيـــــانِ

ورضِيتم الإسلام دِينًا قيِّمـــاً
إســلامُكم هو خاتَمُ الأديـــانِ
نسختْ ظلامَ الشرك آيةُ نــوره
وأدال من رُومٍ ومن يونـــــانِ
فيه العقيدة والشريعة والسياسة والإدارة .. كلُّهـا فـى آنِ
عاشت بصحبته البريّةُ كلهـــا
فى نعمـــة وسلامـة وأمـــانِ
لم يعرف الإسلام ظلمَ رعيـــة
فتساويا :ابنُ العاص والنصرانى!
ياقومنا إن كان ذلك دينَنَـــا
لم لايكون الحكـــمُ بالقـرآنِ؟!

* * *

فلتجعلوا القرآنَ عصمةَ أمركـم
من شِيبِكم ياقـــومُ أو شبـــانِ
رَبُّوا على الإســـلام ناشئةً لكم
وعليه شِيدُوا أرفـــعَ البنيـــانِ
ولْتحفظوا سِيَر الرســولِ وصحبِه
ولتأمروا بالعـــدل والإحســـانِ
أسلافُكم كانوا مصابيحَ الهـــدى
كانوا شمـــوسَ النور والعِرفـــان
هل كان كالصدِّيق والفـــاروقِ أو كعلىٍّ المغـــوارِ أو عثمـــانِ؟!

الصابرين الصادقين القانتيــن المنفقينَ .. لهــم فسيحُ جنــانِ
والباقيات الصالحــات هى التى
تَرْبُو عوائدهـــا بلا نُقصـــــانِ
إن تنقضِ الدنيا نَعِشْ فى خيرها
فى الخلد .. فى رَوْحٍ وفــي رَيْحـانِ

وفى العــام الماضى-١٩٩٤- كــررت هذه المعــانى فى ديوانى المطبوع «مع القرآن الكريم» بجزأيه؛ إذ قلت فى معنى أن الإسلام هو الحل لكل المشكلات :

قد أصبـــح الناس فـــى شقاءٍ
وتلك عنـــدى هى الحقيقـــهْ
لكنهم يسعـــدون حقـــــا
لو استقاموا على الطريقـهْ[1]

* * *

وفى ضرورة الوحدة الإسلامية قلت :

يا أمة الإســـلام لا تَفَرَّقُـــوا
تُحققوا نصراً لكـم سريعَـــا

---

(١) اقتباساً من قوله تعالي : «وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً». (سورة الجن: ١٦)
والمقصود "بالطريقة" فى الآية الكريمة: الإسلام

فوثقـــوا إيمانكـــــم بربكـــــم
واعتصمـــوا بحبله جميعاً (١)
* * *

وفى رفض الفرقة السائدة بين الدول العربية الإسلامية قلت :
مكانهم - وان نادوا - قريـــــب
وحبهـــم - وإن دنـوا - بعيـــد
تحسبهم إن ترهـــــم جميعـــا
وبأسهـــم بينهـــم شديـــد (٢)
* * *

وفى فـرضـيـة الجـهـاد والوقـوف فى وجـه المعـتـدين على الإسـلام والمسلمين فى كل مكان وبخاصة فى البوسنة والهرسك-قلت :
بأمر اللـــــه رب العالمينـــا
تعالَـــوْا قاتلوهـــم أجمعينـــا
يعذبْهم بأيديكـــم فيهـــوُوا
ويرفعْ شأنكـــم دنيـــا ودينـــا
ويُخزِهِمُو وينصرْكـــم عليهـــم
ويَشْفِ صدورَ قومٍ مؤمنينـــا (٣)
* * *

---

(١) اقتباساً من قوله تعالى : «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا» . (آل عمران : ١٠٣)

(٢) اقتباساً من قوله تعالى : «بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى» . (الحشر: ١)

(٣) اقتباساً من قوله تعالى : «قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين» (التوبة :١٤)

وفـــى وجوب التحلى بأخلاق الإسلام الكريمة قلت :

إذا كنـــــت ترجـــو ثوابـــــاً
وفضـــلاً علـــى العالمينـــا
خُذِ العَفْـــوَ وأمُـــر بعُـــرْفٍ
وأَعْـــرِضْ عن الجاهلينا [١]

* * *

وأختتم عرضى لنماذج شعرى الفصيح [٢] بهذا الابتهال الذى كتبته منذ سنوات طويله" وأداه المبتهل الشيخ عبد الرحيم دويدار فى احدى الليالي قبيل صلاة الفجر بمسجد مولانا الإمام الحسين رضى الله عنه، وفيه أقول :

يارب هيئ لنا من أمرنا رَشَـــــدَا
وكـــن لنا يا إلهى العَوْنَ والسَّنَدَا
مالى غِنىً عنك فى كل الأمـور ولا
على سواك إلهى كنت معتمِـــــدا
لولاك لم تنشرح بالديـــن أفئـــــدةٌ
ولم يكن للصراط المستقيم هُـــدَى

---

(١) اقتباساً من قوله تعالى : «خذ العفو وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين» . (الأعراف ١٩٩) .
يقول البيضاوى فى تفسير الآية الكريمة : «هذه الآية جامعة لمكارم الأخلاق» .

(٢) لى ديوان كبيـر من الشـعر العـامى، لامجـال هنا للحـديث عنه والاستشهاد منه .

فإن رضِيتَ فحسبى فى الحياة رضًا
وإن سخِطتَ فآمالى تضيع سُـدَى
فاكتب لنا ياإلهى منك مغفـــــرةً
وتب علينا وزدنا من نداك نَـــدَى
وجُدْ بفضلٍ وتوفيق لنا أبـــــداً
ومُدّ بالرزق والخير العميم يَـــدَا
فلم تزل ربَّنا تُرْجَى لنيـل مُنًـــى
وسوف تبقى رَجَا مَنْ لِلْمنى قَصَدَا

تكريم وتقدير

أحمد الله أننى نلت من تكريم قيادات جامعتى طنطا والأزهر لى ماهون على كل مشقات العمل والادارة، ومن ذلك:

اولا: كان من تكريم جامعة طنطا لي فى أثناء فترة عملى بها احدى عشرة سنة بين مدرس واستاذ مساعد، ووكيل كلية - مايلى:

١- اختيارى لحضور مؤتمر كليات التربية فى العالم العربى بمدينة الرياض من ١٥-١٩/٥/١٣٩٨ ه - ٢٢-٢٦/٤/١٩٧٨م.

٢- انتخابى عضوا لسنوات طويلة بمجلس ادارة نادى اعضاء هيئة التدريس ومقررا للجنة الثقافية وكان وجودى بمجلس الادارة فرصة لدعوة عدد من شيوخ الأزهر ورؤساء جامعتهوأساتذة كبار فيه للقاء أعضاء جامعة طنطا وأسرهم على افطار فى رمضان، ثم حديث وحوار دينى معهم بعد صلاة العشاء ومن بين من دعوا: فضيلة الاستاذ الدكتور عبد الحليم محمود، وفضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار، وفضيلة الشيخ

عبد المنعم النمر وفضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى، وفضيلة الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود.

٣- وقوف الجامعة معى برئاسة الأستاذ الدكتور عبد الحى مشهور فى مواجهة اللجان العلمية التى تجنت علىّ لأزهريتى،وترقيتى بلجنة أخرى إلى أستاذ مساعد سنة ١٩٨٠، ثم اختيارى فى الشهر التالى للترقية وكيلا لكلية التربية بكفر الشيخ.

ثانيا: وكان من تكريم جامعة الأزهر لى بعد انتقالى اليها:

١- تعيينى عميدا لكلية اللغة العربية بدمنهور فى العام الذى نقلت اليها فيه -١٩٨٦- عقب حصولى على الاستاذية.

٢- تجديد العمادة لى أربع مرات ، وبقائى فى العمادة حتى بلوغى سن التفرغ.

٣- وقوف أعضاء نادى هيئة تدريس الجامعة ورئيسه المحبوب الأستاذ الدكتور محمد حسين عويضة معى فى قضية تطاول محافظ البحيرة الأسبق علىّ، حتى انعقد الصلح بيننا فى الكلية.

٤- استجابة فضيلة رئيس الجامعة الهمام الأستاذ الدكتور عبد الفتاح حسينى الشيخ لى فى مَدّ الكلية بالوسائل التعليمية لتسجيل المحاضرات ثم اعادة عرضها على الطلاب بما تكلف ألوف الجنيهات.. وقد نجحت التجربة نجاحا باهرا يجعلنى أتمنى لها من المسئولين أن تعمم فى جميع الكليات ، فالوسائل التعليمية ضرورية لأنها ركن أساسى من أركان العملية التعليمية[١]

---

(١) هذا ماقرره علماء التربية وقد شرحت ذلك فى كتابى : " التوجيه فى تدريس اللغة العربية "طبع ونشر دار المعارف سنة ١٩٨٣.

٥- اختيارى رئيسا لنادى هيئة تدريس الجامعة لوجه بحرى ، وأرجو أن تتيح الجامعة لفرع النادى فرصة علاج الاعضاء حيث يقيمون فى محافظات الوجه البحرى، لا فى القاهرة فحسب، تقريبا للخدمة الصحية العلاجية لهم، لأهميتها وحساسيتها.

٦- اختيارى عضوا بلجنة الصياغة بالمركز الدولى الاسلامى للدراسات والبحوث السكانية بجامعة الأزهر، وعضوا بمجلس ادارة مجلة "العلوم السكانية" التى يصدرها المركز.

أخى القارئ الكريم :

هذه وقفتى مع النفس عرضت فيها باختصار قصة جهادى مع العلم والأدب والحياة، كما عرضت فيها نماذج من شعرى، داعياً الله تعالي أن يسدد خطانا على طريق الحق والخير، والدين والعلم والأدب، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشداً .

وفى ختام حديثى لاأنسى أن أشكر كل من كانت لهم يد فى تعليمى،أو تصعيدى،أو معاونتى،أو رد العدوان عنى، ممن أذكرهم أولا أذكرهم منذ نشأت ،وحتى اليوم. كذلك أكرر أن ماتم من إنجاز علمى وعملي فى الكلية انما كان بفضل الجهد الكبير الذى بذله كل العاملين معى من أسرة الكلية، إذ بفضلهم جميعا قطعنا الشوط الأول من الرحلة بنجاح، وبفضلهم سوف تستمر المسيرة فى أداء الكلية لرسالتها بشكل أفضل وأمثل إن شاء الله تعالى، والحمد لله أولا وأخيرا،

«ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»

أ. د. محمود على السمان